بسم الله الرحمن الرحيم

عالم يفخر به العلماء

[الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى ، مرشح جامعة الازهر لجائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ١٩٨٩م.]

بقلم د. محمود على السمان

ما اكثر علماء الأزهر الشريف الذين نفخر بهم ، وتفخر بهم أمتهم العربية والاسلامية فى القديم والحديث. والاستاذ الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى فى طليعة هؤلاء العلماء المحدثين الاعلام ، الذين كان من حسن حظنا أننا عاصرناهم وتتلمذنا على أيديهم ، ونهلنا من علمهم وأدبهم وخلقهم [1] ، وسوف يظل الخفاجى - أطال الله عمره - علامة مضيئة على هذا العصر الذى نعيش فيه ، كما كان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ من قبله بقرون طويلة علامة مضيئة على عصره. ولئن كان بعض النقاد قد أطلق لقب "الجاحظ" على بعض الكتاب والادباء المتميزين فى هذا الجيل - فالذى نراه أن الدكتور خفاجى أحق من أطلق ويطلق عليه هذا اللقب ، لانه أغزر من عرفته العربية فى عصرنا تأليفا فى شتى نواحى العلوم العربية ، من أدب ، وتراجم أدبية ، ونقد ، ولغة ، وتاريخ إسلامى ، ونحو ، وبلاغة ، وحديث ، وتفسير ، وسيرة نبوية .. وهو من أكثر المحققين للتراث .. وكل متأدب لم يتلق العلم على يديه شفاهة - لابد أن يكون قد تلقاه عنه من خلال مؤلفاته التى جابت لمشرقين ، وتخطت حدود الاقليمية الضيقة فى مصر ، إلى مجال العالمية الواسعة فى شتى أنحاء المعمورة .. وما أكثر العلماء والادباء والنقاد والشعراء والمحققين والمستشرقين الذين بادلوه العلم والادب ، وطارحوه النقد والشعر ، وأفادوا من علمه بالتحقيق ، وخبرته بالحياة الثقافية العامة ، على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان.

ولد الخفاجى فى "تلبانة" من قرى مركز المنصورة بمحافظة الدقهلية فى ٢٢ يوليو عام ١٩١٥ ، وحصل على الشهادة العالية [الليسانس] من كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٤٠، ثم عمل مدرسا فى الليسية فرانسيه بالقاهرة من عام ١٩٤٠-١٩٤٤ ، ونال الشهادة التمهيدية للاستاذية عام ١٩٤٤ ، وحصل على العالمية من

درجة أستاذ [الدكتوراه] فى الأدب والنقد عام ١٩٤٦ برسالة عن الشاعر الناقد الخليفة العباسى ابن المعتز ، وعين مدرسا فى كلية اللغة العربية عام ١٩٤٨ ، ثم رئيسا لقسم الادب والنقد فى الكلية نفسها عام ١٩٧٣ ، ثم عميدا لكلية اللغة العربية بأسيوط عام ١٩٧٤.

٣-

والخفاجى فرع من الدوحة الخفاجية الممتدة فى الزمان والمكان ، والتى نبغ منها رجال فى الشعر والأدب والبطولة والامارة. وقبيلة خفاجة فى العراق اشتركت فى الثورة العراقية الكبري عام ١٩٢٠م التى انتهت باعتراف بريطانيا باستقلال العرق. ومن الخفاجيين العرب الحجازيون القدامى الذين منهم توبة الخفاجى [م ٥٧.] والامير ابن سنان الخفاجى الحلبى [م ٤٦٦.] والشهاب الخفاجى المصري [م ١٠٦٩.] وابن خفاجة الأندلس الشاعر المشهور ولئن كان الدكتور خفاجى فى الذروة من التأليف والتحقيق العلمى - فهو فى الذروة العليا من الخلق الكريم والتواضع الجم.

يقول الشاعر محمود غنيم فى الحفل الكبير الذي أقيم بالقاهرة لتكريم الخفاجى عام ١٩٥٩م:

فى كفه قلم لعاب النحل قصر عن لعابه
أسفاره منهلة كالغيث تهطل من سحابه
قد أعجزت قراءه عن أن يسيروا فى ركابه
رفقا بقارئك الدءوب فقد شكا من فرط ما به

ثم يقول

متواضع ما قام يعلن ذات يوم عن جنابه
الله يعلم لم أجامله بمدحي أو أحابه
فخصومه اعترفوا له .. بالفضل أكثر من صحابه
سر ياخفاجة لاعدمتك في طريقك غير آبه

وتقول الشاعره جليلة رضا:
هو كالفجر في سناه الوليد
دائم الخلق ، دائم التجديد
وهو العلم والبلاغة والفصحى ورمز الاجلال والتمجيد
قلم عاشق وطرس عشيق
وبنان يفي بكل الوعود
فهو فخر الكتاب في عصرنا الحاضر رمز البقاء والتخليد

ويقول الدكتور حسن جاد من قصيدة طويلة
ان الخفاجي لغز
قد حير الناس عيا
حوي الفنون جميعا
فليس ينقص شيا
ولم يدع للسيوطي
في الكتب ذكرا بقيا
وقل عزم صبيح
وأتعب "الحلبيا"[٢]
في كل طرفة عين
نرى كتابا سويا
صبحا وظهرا وعصرا
ومغربا وعشيا

فليت شعري أجنـــا
أراه أم إنســـيا ؟
أقسمت والناس تطـري
زمـــانـنا الذريـــا
ليس الخفاجـــى الا
مؤلفـــا ذريـــا

ومن شعره هو المصور لنفسه قوله :
كتمت الناس أسراري وحاجى
وعشت فلا أوارب أو أداجى

وقوله:
خلقـى الخـير والمحبة دينى
وتموج الحياة بالشر خلقـا

وقوله:
أنـا قلب مصور من ســـلام
لم أرش فى الخفاء للناس سهما
أنـا طهرت من نقائص شتـى
لا أذوق الحياة عـابا واثمـا
أنـا بين الرجال أنف عزيـز
لست أرضى لغير ربى حكـما

ويشرح هذه الأبيات بما تحمله من صفات الشرف قول الاستاذ أنور الجندى فيه فى مقال له نشر عام ١٩٧١[٣]
"والذين يعرفون الدكتور الخفاجى عن قرب - يعرفون فيه خلقا دمثا ،

وذوقا عاليا ، وأخلاقا سامقا ، وصحبة ناشرة أجنحتها على كل من يقترب منها أو يتصل بها.

المذهب الأدبى للخفاجى

يقوم المذهب الأدبى عند الخفاجى على ضرورة الملكة الأدبية ، والموهبة الذاتية ، كأساس لبناء الاديب من الجانب الفنى والثقافى ، وعلى أن الثقافة الأدبية الحديثة للأدب يجب أن تتناول التعرف الى جميع الثقافات الأدبية القديمة والحديثة ، وعلى أن الأدب لابد أن يخدم هدفا اجتماعيا أو قوميا أو انسانيا ، فلم يعد اليوم ترفا وتصاوير مزخرفة ، يقصد للترفية والتسلية ، واثارة الشهوات الجنسية ، أوبخورا يحرق فى مواكب الطغاة .. وانما أصبح يدعو الى الحرية والكرامة والحياة الطيبة للافراد والجماعات والشعوب: الحرية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، والكرامة التى تجعل الانسان مؤمنا بأنه لم يخلق عبدا لإنسان ، والحياة الطيبة التى تتكافأ فيها الفرص ، وتتساوي المواهب ، ويجد فيها كل انسان له عملا لائقا ، وعيشا شريفا ، ومستوي ماديا مناسبا ، وعناية واحدة من الحاكمين

ويري الخفاجى أن الوضوح والبساطة والجمال والصدق - هى الخصائص الأدبية الأولى ، والعناصر الفنية الأساسية لكل أدب جميل بليغ ، ولكن خلود هذا الأدب وذيوعه يتوقف فوق ذلك على مضمونه ، وعلى أن يكون انسانى النزعة ، رفيع الهدف ، يعمل مساعدا لنواميس الحياة على التقدم والازدهار[٤]

مؤلفات الخفاجى والدراسات عنها

ولقد زادت مؤلفات الخفاجى وتحقيقاته العلمية والأدبية خلال ستين عاما قضاها فى البحث - عن خمسمائة مؤلف وتحقيق ، ليست كلها فى مجال واحد من مجالات المعرفة ، ولكنها فى مختلف المجالات العلمية والادبية ، وكلها عميقة ضافية مستوعبة رفيعة المستوى ، وهذا الى جانب ألوف البحوث والمقالات المنشورة فى الصحف والمجلات السيارة فى العالم العربى على امتداده.

ولغزارة نتاجه وقيمته الفنية والابداعية - كتب عنه الكثيرون من النقاد والادباء فى مصر والعالم العربى والمهجر الامريكى ، كما كتب عنه المستشرقون ، وفى مقدمتهم : د. عبد الكريم جرما نوس ود. ارنست بانرست - كتبوا عنه دارسات كثيرة ، وصدرت عن أعماله العلمية والادبية نحو عشرة كتب ، وسجلت عنه وعن أدبه رسائل جامعية فى مصر وتونس والجزائر والسعودية.

واذا كان هذا المقال لايسمح باستعراض كل أعماله ، فلا أقل من ضرب الأمثلة عليها ، فبالمثال كما - يقولون - يتضح المقال:

ومن كتبه المحققة وهى تزيد على الخمسين: الايضاح فى البلاغة للقزوينى ، [وهو ستة أجزاء] ، والبديع لا بن المعتز ، ورسائل ابن المعتز ، وشرح ابن عقيل [ثلاثة أجزاء] ، والفرج بعد الشدة للتنوخى جزءان ، وديوان الامام الشافعى ، ومقامات الحريرى بشرح الشريتى [أربعة أجزاء] ، وحماسة أبى تمام [جزءان] ، وصحيح الامام البخارى بالاشتراك [عشرة أجزاء].

ومن كتبه الاسلامية : الاسلام دين الانسانية الخالد [٤٠٠

صفحة] والاسلام ومبادئة الخالدة بالاشتراك مع الامام الاكبر الشيخ مأمون الشناوى ، والمختار الصحيح من التجريد الصريح فى أحاديث الرسول [خمسة أجزاء] ، وتفسير القرآن [ثلاثة عشر جزءا] وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم [أربعة أجزاء].

ومن كتبه فى التراجم الأدبية: كتاب عن الجاحظ [فى أربعمائة صفحة] ، وكتاب عن ابن المعتز [فى أكثر من ثمانمائة صفحة] وكتاب عن ابن سنان الخفاجى ، وكتاب عن أدباء الشرق [سبعة أجزاء] ، وكتب عن أبى دلف ، والرصافى ، والشابى ، والعقاد ، وابى شادى .. وغيرهم من اعلام العرب وشعرائهم فى القديم والحديث.

وفى تاريخ الأدب العربى: كتب الخفاجى موسوعات تزيد على الاربعين ، شملت تاريخ الادب العربى من بدايته حتى الآن فى شتى أزمانه وأوطانه.

وقد أصدر الخفاجى اثنى عشر ديوانا من الشعر ، نشر أولها ، وهو "ديوان وحى العاطفة" عام ١٩٣٦ ، ثم "أحلام الشباب" ، "واحلام السراب" ، "ونغم من الخلد" ، "وأشواق الحياة" ، "وصلوات على الضفاف" ، "والديوان الاسلامى" ، "وأغنيات" وأخيرا وليس آخرا نشيد الذكرى عام ١٩٨٨.

وهذه وغيرها من الدواوين تشهد له بالتفوق فى مجال الشعر ، كما تشهد له كتبه المحققة والمؤلفة بالتميز فى التحقيق والابداع فى مجالى النثر والشعر جميعا.

استفادة الجامعات بعلمه وخبرته

ولثقه جميع الاوساط العلمية والادبية بعلم الخفاجى ، واطمئنان الجامعات إلى راجح عقله وحسن تقديره - اختارته مختلف الجامعات المصرية والعربية عضوا مناقشا فى كثير من رسائل الماجرستير والدكتوراه بها ، وحكمته مختلف الجامعات العربية فى فحص النتاج العلمى للمرشحين لوظائف الاستاذية بها ، وهذا فضلا عن كونه عضوا فى لجنة فحص النتاج العلمى للمرشحين لوظائف الاستاذية فى أقسام الأدب والنقد فى جامعة الازهر.

ولكل هذه الاسباب وغيرها - التقت واتفقت مجالس ثلاث كليات من كليات اللغة العربية بجامعه الأزهر هذا العام على ترشيحه لجائزة الدولة التقديرية فى الاداب ، وأقر ترشيحها مجلس جامعة الأزهر.

اختياره عضواً وخبيراً فى مجالس العلم والادب والشعر

وقد اختاره المجلس الأعلى للفنون والاداب عضواً فى لجنة الشعر عام ١٩٧٣ ، واختاره المجلس الاعلى للازهر عضوا فيه من ١٩٧٤ - ١٩٧٨ ، ثم اختير عضواً فى المجالس القومية المتخصصة فى لجنة الشعر ، ثم فى شعبة الآداب عام ١٩٧٦ ، وانتخب عضوا فى مجلس إدارة اتحاد الكتاب عام ١٩٧٦ حتى الآن.

وبالاضافة إلى كون الدكتور خفاجى أستاذاً متفرغاً بجامعة الازهر منذ عام ١٩٨٠ وحتى اليوم - فقد عين سيادته أستاذاً فى معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة عام ١٩٨١.

وقد طلب مجمع البحوث الاسلامية بالازهر اسهامه فى اعداد تفسير القرآن الكريم الذى نشر منذ عام ١٩٧٦ ، كما طلبت وزارة الاوقاف

و نجس لاعلى للشنور لاسلامية سهامد فى اعداد مسبر لد لكريم لذى نشر عام ١٩٨٩

دعوته للمؤتمرات العلمية والثقافية فى الداخل والخارج

ولايكاد ينعقد مؤتمر أو مهرجان أدبى أو شعرى فى مصر او فى الدول العربية أو الاسلامية حتى يدعى اليه الخفاجى ، ومن المؤتمرات والمهرجانات التى دعى اليها وحضرها

مؤتمرا الآداب والفنون فى الخرطوم عام ١٩٧٥ ، ومهرجان الذكري الألفيه لشاعر الاندلس ابن زيدون فى الرباط ، عام ١٩٧٥ ، ومهرجان المربد الشعري بالعراق عام ١٩٨١ ، ومؤتمر الأدب لعربى الحديث فى جامعة مهاد فى الهند عام ١٩٨٢ ، ومهرجان شوقى وحافظ الذي أقامته رابطة الادب لحديث عام ١٩٨٢ ، ومهرجان ذكري الشابى فى تونس عام ١٩٨٤ ومهرجان عيد مجلة الفكر التونسية فى تونس عام ١٩٨٥ ، ومهرجان ذكري المفكر الجزائري البشير الابراهيمي فى جامعة وهران عام ١٩٨٦ ، ومهرجان ذكرى الامام بن عاشور فى تونس عام ١٩٨٦.

القيادة بعد الريادة فى مجالات الثقافة والادب

مما لاشك فيه أن الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى كانت له الريادة الثقافية بصفة عامة ، والأدبية بصفة خاصة فى عصرنا الحاضر ، واذا كانت هذه الريادة شيئا يدل على المعرفة الواسعة - فقد أسهم الخفاجى فى قيادة الحركة الثقافية فى مجتمعنا ، وهذا أمر يدل على الخبرة والدربة والتجربة ، فالخفاجى يتربع اليوم على رئاسة اقدم وانشط جمعية ثقافية وادبية فى مصر ،وهى رابطة الأدب الحديث التى كانت لرئاسة فيها فى فترة نشاطها لاول لأمير لشعر حمد سوقى ثم

الدكتور احمد زكى أبو شادي ، والدكتور ابراهيم ناجى.

ثم انتقلت بعدهم للأستاذ الناقد مصطفى السحرتى فى الفترة الثانية من نشاطها، ثم يقوم الدكتور خفاجى الآن على رئاستها لتستمر فى عطائها واداء رسالتهاإلى ماشاء الله.

وقد أسس الدكتور خفاجى مع الدكتورين عبد العزيز شرف ومختار الوكيل - جماعة أبوللو الشعرية الحديثة عام ١٩٨٢ ، وأصدر مع الدكتور عبد العزيز شرف مجلة الحضارة الشهرية منذ عام ١٩٨٤.

ومهما يبلغ الوصف فى عطاء الخفاجى وفضله على الأدب والأدباء والنقد والنقاد ، والعلم والعلماء - فلن يبلغ المبلغ الذي يستحقه .. جزاه الله عما قدم للغة العربية خيرا ، واطال الله لنا فى حياته ، واكثر الله فينا من أمثاله.

والله من وراء القصد ، وهو نعم المولى ونعم النصير

د. محمود على السمانى

الهوامش

[١] من بين هؤلاء الأعلام الذين تتلمذنا على أيديهم فضيلة الشيخ الامام محمد متولى الشعروى ، وهو زميل وصديق للدكتور خفاجى ، ويذكره دائما فى معرض حديثه عن سيرته الذاتية .

[٢] صبيح ، والحلبى: ناشران شهيران بحى الازهر بالدراسة بالقاهرة .

[٣] مجلة المنهل السعودية عدد جمادى الثانية عام [١٣٩١هـ - ١٩٧١م]

[٤] انظر مواكب الحياة - الجزء الاول للدكتور خفاجى ص ٩٧ وما بعدها ، ص ٣٢٣ وما بعدها